صغير لكل بوليس يرصد فيه ما يراه ليكتب عنه تقريراً لرئيسه يومياً عما حصل بمنطقته وكذلك كل ضابط وكل مأمور له دفتر مذكرات صغير يصرف له ليسود فيه ما يبلغ اليه او ما يراه ضرورياً او يستحق التبليغ عنه الى مكتب المباحث فاذا تبلغ للاسم شيء لا يعد جريمة يفهم المبلغ بما يجب عليه اتباعه ويصرف دون اثبات شيء على الاطلاق وبهذه الطريقة لا يشتغل ضابط البوليس بالامور التافهة وفي مسائل المخالفات العادية يكتفي البوليس المعين بالسورية بأخذ اسم وعنوان المخالف الذي يذكر عادة اسمه وعنوانه الحقيقي فلا يترك البوليس مركزه بالمرة مدة الخدمة الا في المسائل الهامة جداً وبعد ان يبلغ زميله المجاور له في نقطة اخرى. هذا وقد انتقلنا في بعض الحوادث وعرفنا كيفية اجراء التحقيق والاعتناء بموضوع بصمات المجرمين التي توجد في مكان الحادثة ورفع آثارها وانصراف البوليس في التحري والبحث عن المجرم.

-٥✕٥✕٥-

السر المكنون[١]

كيف يتوارى المجرمون

دخل ذات يوم شارلوك هولمز البوليس السري المشهور على صديقه الدكتور وطسن وفي يده درج ورق ولما استوى به المقام نشر

(١) اخذت عن مجلة السيدات والرجال

المرج عن جملة اوراق من رسائل وتقارير انتخب من بينها واحدة دفعها الى الدكتور وطسن قائلاً: هذه رسالة وردت الى المستر تروفر فما قراها الا وقع صريعاً من الرعب. فنظر الدكتور اليها واذا بنصها هكذا: «المصفور الذي اهديتليه قد انطلق واطنه قد الى مربيه هندسن فاذا سألته الخبر سالا عن كل شيء لا شيء علماني لك. خلص المصفور انت تفسك».

فما كاد وطسن يأتي على تمتمها حتى نظر الى هولمز نظر المزري بهذا المنديار وقال: ليس في ان ادرك الداعي الى الرعب في هذه الرسالة الفامضة او باحري الخالية من المعنى بل اراها مضحكة لا مرهبة فضحك هولمز من كلامه وقال لا بدع ان تعتبر هذه الرسالة هذياناً مضحكاً لانها كتبت بلغة لا يفهمها الا من اوتي حل رموزها. واليك البيان.

تعلم اني كنت في المدرسة الكلية محب العزلة منكباً على الدرس لاقوم بواجباتي المدرسية احسن قيام. ولهذا لم يكن لي بين الطلبة اصدقاء اخصاء الا فيكتور تروفر الذي قضت الظروف بصداقته حتماً وذلك ان كلبه عثر برجلي ذات يوم فلازمت الفراش خمسة عشر يوماً كان في اثنائها يتردد علي يستعلم عن صحتي فلا يمكث الا ريثما يقربي السلام ثم ينقل راجعاً. على انه في اواخر المدة كان يسامرني كثيراً فتجاذب اطراف الحديث الى ان تمكنت ربط المودة بيننا لاتفاقنا في

كثير من الاخلاق . والخيراً دعاني الى بيت ابيه في ووبشورب فلبيت دعوته في شهر العطلة المدرسية .

اما ابوه فرجل كهل ذو ثروة طائلة وارمل ليس له ولد الا صديقي فيكتور وهو قليل العلم ، لكنه واسع الخبرة لان الاسفار الكثيرة حنكته .

وبينما كنا في احد الامساء لتسامر بعد العشاء تطرق فيكتور في الحديث الى قص الاقاصيص عن اتي تدل على قوة استدلالي واعجاب الرفقاء بمقدرتي على حل المعميات فقص ابوه ان ابنه مذ اليوم قال حاكيا: «هل تعلم يا مستر هولمز ان يستعجلي من مظاهري شيئاً من نواحي قلت ، واخشى الا اني الخدمة حقها . على اني ارى من محياك انك كنت في بحر من الخاوف هذه السنة الاخيرة » . عند ذلك اخذ الرفقاء يضحكون من شقيته وشخص في متعجبا ، قال « نعم كنت كذلك » والتفت الى ابيه ، قال « انك تذكر يا فيكتور كيف هرمنا عصابة اللصوص الذين تعودونا بالاذى ، كيف هيئت بعد تلك المناوشة في قلق واضطراب دائمين » . ثم قلت له « عندك عصا ضخمة قوية والتي استنتجه من ذلك الآن انك لم تقتنها قبل هذه السنة وقد اعتنيت جداً بان سكبت في طرف منها رصاصاً لتكون ضربتها قاتلة . ولذلك رأيت انك في خوف دائم يشأ على الاقل هذه السنة الاخيرة »

— « هل عندك شيء آخر » —

— رأيت في زمن الصيف البوكس كثيراً (وهو نوع من الالعاب يتلاكم فيه اثنان بالزاس صغيرة من جلد مخشو)

— حقيق حقيق كيف عرفت ذلك ؟

لاحظت ان اذنيك منتفختان وشبكتك ولا تتلقى ضربات الا تأثير الملاكمة البوكس .

— وأشيء آخر ؟

— أبي من كلب (عجائب) يا بني انك قد اشتغلت في حفر المناجم .

— وذلك هو يسرع زورقي .

— وانك كنت في بيروت .

— نعم كنت .

— وزرت اليابان .

— نعم نعم .

— وكلب الك صديق حميم يتدعى ا وكنيته بحرفي ج. ا. وثمت صرت تتمنى ان تنساه .

شهق المستر تروفر عند هذا الكلام من مكانه وهو مثبت نظره فيّ ومندهش ثم سقط على وجهه الى الارض مغشياً عليه . فذعرت انا وابنه فيكتور : وفي الحال نضحنا الماء باردا على وجهه فتنهد واعاق حالا وقال متكلماً الانكليزية : الحمد لله لم اصب بسوء

فقراً عيناً. لا اعلم يا مستر هولمز كيف توصلت الى هذه المعلومات. على اني اصبحت معتقداً ان مكنونات الحقائق في قبضة يديك تكشفها متى شئت »

فهذا التقريظ حملني ايها العزيز وطسن على تمرين ما بي من قوة الاستدلال والانتفاع منها. على اني خشيت ان الهواجس التي دارت في خلد مضيفي حينئذ تدعوه الى ان يسيء الظن بي فقلت له: « عساني لم اقل شيئاً يسيئك » فقال: « بل مسست فؤادي. فهل لي ان اعلم كيف عرفت ذلك كله والى اي درجة تفصل معلوماتك به »

— ذلك امر بسيط جداً. فما عرّيت ذراعك في الصباح لتتشمل السكة الى الزورق نظرت الحرفيق ح. ا. في مرفقك ولاحظت انك حاولت كثيراً ان تمحوها لان الجلد متجعد حولها وعليه ندوب. فعلمت انها حرف اسم كان مسياه عزيزاً عندك والآن تود ان تساوه

— لله درك ودر نظرك الحاد ولكن دعنا من هذا الحديث حديث ايام الغرام الذي يرينا اشباح الحب وخيالاته الموجعه

وبعد ذلك كان المستر تروفر في حسبان عظيم وتخوف شديد مني وكثير الحذر من ان يفرط بكلمة امامي. ومع ذلك كان يجتهد في كتم هذا الحذر. فلما رأيت ان اقامتي عنده مزعجة له صممت على الاياب. وحدث يوم تأهبي للرحيل ان دخلت عليه الجاريه تنبئه بقدوم رجل من معارفه يطلب ان يراه فاذن له بالدخول فاقبل واذا برجل نازل

الجسم مهزول وعليه ثياب خلقة تدل على انه كان غنياً فلما رآه المستر تروفر الا وثب الى الخارج واستقبله في غرفة اخرى . وعما قليل عاد واياه يتحدثان فتهمت من خلال حديثهما ان اسم الرجل هدسن وانه يعرف المستر تروفر منذ ثلاثين سنة وانهما كانا مشتركين في احدى الحالات . والآن اصبح الخادم مسكيناً وانى يسأل صاحبه القديم وظيفة عنده فاهتم به المستر تروفر اهتماماً زائداً وقبله عنده نزيلاً الى ان يرى له مركزاً

اما انا فتوجهت الى لندن واخذت امارس بعض الامتحانات في الكيمياء الآلية . وقبل ان تنقضي العطلة المدرسية انتهت الي رسالة برقية من صديقي فكتور تروفر يلح علي فيها بالذهاب اليه لانه في حاجة شديدة الى فليت دعوته في الحال . فنهضت بقطع ساعات حتى وقف بي القطار في المحطة حيث الكهربائي صديقي بوجه مملوء الحزن والكآبة واول كلمة قالها وعيناه ممرورقتان : اني بخير وهيئات ان تدركه خير

فرأيتي حزنه جداً وسألته ان يسرع بتفصيل الخبر فقال : وهل تذكر هدسن الذي جاءنا يوم رحيلنا ؟ قلت : نعم اذكره . فقال : وهو شيطان في شخص انسان لانه منذ دخل بيتنا انقلب سلامه اضطراباً وهناءً وتراغاً دائماً بينه وبين الجواري والخدم وقد شيعه اني بستانياً فلم يكتف بهذه الخدمة وحدها فعينه ايضاً ساقياً . اما سلوكه

فكان رديئاً جداً يقضي يومه بتكييده الخدم ومقاتلتهم ويفعل في البيت كل ما تسوله له نفسه كأنه المالك المطلق التصرف وإني بداريه كما يداري العبد سيده اما انا فلم احتمل عتوه ولهذا كنت كثيراً ما اوبخه فيتمرد واني يسترضيه. فعجبت كل العجب من تساهل ابي الغريب بماله كثيراً. فلم يكن رده على الملامة الا التنهد. ومنذ ذلك الحين واني في بلبال لم افهم سره.

«في ذات يوم تطاول هدسن على ابي كثيراً فوثبت عليه وصرعته الى الارض فحنق علي واخذ يتوعدني سراً حتى حمله على ان يطلب الي ان اعتذر له. فاستشطت غيظاً وسألت ابي عن سبب هذا التساهل وهذه المذلة فقال لا تعلم الآن ولكن سوف ترى انك اخطأت بعدم الاعتذار» وما زال كلما عاد الى القول بل زادني حيرة على حيرة (اما هدسن فصمم على ان يذهب الى المسرح «بادوس» في همشير لانه يعرفه كما يعرف ابي في الدروف نفسها فتوجه ابي ألا يغادرنا شيئاً عليناً. ومنذ عرفنا كان ابي يمتزل في غرفته يحيي وقته بالكتابة).

فقلت له «والآن كيف هو وماذا جرى له».

فقال «اتاه امس تحرير موحز جداً فما قرأه الا اخذ يثب في الغرفة كمن فقد رشده واخيراً سقط مغمى عليه فاستدعيت الدكتور فورهام لمعالجته» ولما انتهى من حديثه عند هذه النقطة ادركنا المغزى

فوجدنا المحتضر في حالة لا تعلم الحياة فيها من الموت. فجلست في قاعة الاستقبال اتأمل في احوال هذا الرجل العجيبة واذكر ما اكتشفته من اسراره وفكرت طويلا في ماذا عسى ان يكون هذا التحرير الذي يورده حتفه الآتي. وبعد قليل عاد الي فيكتور وفي يده هذا التحرير نفسه وهذه الاوراق فنظرت الى التحرير واذا بنصه كما قرأت: «العصفور الذي اهديتنيه قد مات واظنه قد الى مربيه هدسن فاذا سألته اخبر حالا عن كل شيء. لا شيء عندي لك. خلص العصفور انت نفسك».

فتحيرت جداً من نص هذه الرسالة الغامض وانعمت النظر طويلا لافهم لها معنى فلم اوفق الى ذلك. فرجحت اخيراً ان تحت هذه الجملة معنى آخر لا يفهمه الا المستر تروفر. فامتحنت قراءتها عكساً فلم تفد شيئاً ثم امتحنتها ايضاً بطرق اخرى فلم انجح. واخيراً وفقت الى مفتاح حل هذا اللغز ولاحظت ان كل ثلاث كلمات تبتدي بكلمة من الجملة المقصودة التي تخيف المستر تروفر. وهكذا كنت اقرأ كلمة واهمل كلمتين فجاءت الرسالة هكذا: «العصفور قد فر. هدسن اخبر كل شيء. خلص نفسك». فاطلعت فيكتور على ذلك وسألته «هل لابيك علاقة ببادوس الذي لجأ اليه هدسن» فقال نعم «اعتاد بادوس ان يدعو أبي الى الصيد

«فقلت لم يبق ريب اذاً بان الرسالة منه — ولكن بقي ان نعلم شأن هدسن وما الذي يعرفه وقد اخبره»

فتنهد فيكتور تنهداً عميقاً جداً وقال «اخاف يا هولمز ان يجر ذلك علي عاراً لا يمحى او اثماً لا يغفر. ولكن اسراري لا تتعلق عليك وانت مفرج كروبي. فهاك تقريراً كتبه اني لما تحقق انه في خطر شديد من تهديد هدسن»

وهاهي الاوراق التي دفعها لي فيكتور هوفرأها تستجلي من خلال سطورها اسرار والده

«ابي العزيز الآن وقد اصبحت في درجة اليأس التي لم يعد فيها بارقة امل للفرج اكتب لك قصتي التي افضت الى هذه الآخرة التعسة لكي تعلم صدق قولي انك اخطأت اذ لم تعتذر الى هدسن. وفي كل حال استحلفك ان تحرق كتابي هذا بعد فراغك من تلاوته لكيلا يطلع عليه احد.

«ليس تروفر اسمي الاصلي بل جامس آرمستاج ومنه تفهم سبب اغمائي يوم اشار صديقك هولمز حرفي ج. ا. الذين لاحظهما مرسومين في مرفقي. فبأسم آرمستاج استخدمت في احد المحلات المالية في لندن وبهذا الاسم أذنبت الى شريعة البلاد. حكم علي بالسجن

«وكان ممكناً ان يكون القصاص محتملاً لو لم تكن الشرائع يومئذ تنفذ بشدة. ولعلك كنت في الثالثة والعشرين من عمري مقيداً كأحد الرعاع ومزجي بي في الباخرة عاوريا سكوت التي كانت قاصدة الى اوستراليا وكان ذلك سنة ١٨٥٥ وحرب القرم في معظم شدتها والسفن

القديمة الطرز تستخدم لنقل المجرمين الى منفاهم وكانت السفينة غلوريا يومئذ في اواخر شيخوختها وهي تقل نحو مئة نفس منهم ٣٦ نوتياً و٤٨ جندياً وقبطاناً و ثلاثة معاونين للقبطان وطبيباً وقسيساً و ٤ خفراء والبقية من المجرمون السجناء.

«وكانت الجدران الفاصلة بين غرف المجرمين رقيقة تحطم بسهولة وكان في الغرفة التي بجانب غرفتي رجل طويل القامة تقدح عيناه شرراً وتلوح على وجهه سيماء الدهاء والشرور. ففي منتصف الليل سمعت همساً فاصغيت ورأيت جاري قد نقب الجدار واطل علي يسألني عن اسمي فاخبرته وسألته عن اسمه فقال «جاك براندر كاست» فتذكرت ان هذا الاسم قد اشتهر صاحبه بزعامة ثورة اهليه وانه من اسرة شريفة ولكنه جمع ثروة عظيمة بطرق التزوير والخيانة واخبرته اني تذكرت اسمه.

«ثم دخل معي في حديث مالي ولما اختبرني وعرف ما عرفه عني استحلفني ان اكتم ما يقوله لي. ثم اطلعني على مكيدة يدبرها هو بغية ان يضع يده على قيادة السفينة. وكان قد زرع بذور هذه الدسيسة في افكار نحو ١٢ مسجوناً قبل اقلاع السفينة. وكان زعيم هذه الدسيسة وله القوة الفعالة فيها. وكان قسيس السفينة شريكه قد اتخذ حزبه كل النوتية واثنين من الخفراء واحد معاوني القبطان

«وكان في امكانه ان يأخذ القبطان نفسه الى جانبه لو رأى منه

تماماً فسألته: «ماذا نفعل» فقال «نخضب اولئك الجنود بدمائهم ونغتصب قيادة السفينة». فقلت «لكنهم جميعاً مسلحون ونحن عزل من السلاح» فقال «بل تسلح لاني اعددت البنادق والخناجر والبارود والرصاص لكل رجل هو ابن امه. فاخبر بذلك حركَ وانظر ان كان يشترك معنا».

«فقاوضت جاري «هيفنس» فرأيته مثلي في الذنب والارادة والعمل. وقبل ان تفارق الخليج لم يبق من المسجونين الا اثنان لم يشتركا معنا في الدسيسة.

وهكذا في الليل الثالث كان تحت اقدام كل منا بندقية صغيرة ومؤونتها وخنجر وكان اخصامنا الذين صممنا على الفتك بهم القبطان ومعاونيه والضابط و٢٨ عسكرياً والطبيب.

وفي احد امساء الاسبوع الثالث نزل الدكتور ليرى احد المسجونين فقبض عليه وكمه لئلا يصيح. ولكن الخفراء تقدموا ليروا ما الخبر فعاجلناهم ببنادقنا واندفعنا الى غرفة القبطان وهناك احتدم بيننا القتال ولكننا خرجنا منه ظافرين منصورين اذ كان برندكاست يرمي الاخصام الى البحر احياء واموتاً حتى لم يبق اخيراً الا نحن الذين جاهدنا وراء حريتنا. غير ان بعضاً منا ساءهم هذا العمل الفظيع وودوا الا يتلطخوا بدم بري. فوجس منا الزعيم برندكاست وعزم على الحاقنا بمن فقدوا وبعد التي واللتيا سمح لنا ان ننزل في قارب ونترك الى الاقدار

فالبسنا ملابس نوتية واخطانا زاداً وذخائر وحكاً وخارطة واوصانا ان نقول اننا نجونا من سفينة انكسرت

«وبعد مجادلة قصيرة بشأن الجهة التي نأخذها رأينا ان نتجه نحو سيراليون (في شط افريقيا الغربي) لانها اقرب الثغور الينا. ففعلنا ونحن ننظر الى السفينة عاصفة نازلت في عرض البحر وبعد ساعة رأينا منها دخاناً كثيراً قد علا الى السماء كالغيوم وحجب منظر السفينة عنا. وبعد هنيهة سمعنا منها صوتاً كالرعد القاصف فرجعنا اليها لنرى ماذا جرى. وبعد جهاد عنيف وصلنا الى حيث كان الانفجار فلم نر للسفينة من اثر الا بعض اذقال نابتة فوق الماء. وسمعنا صوتاً يستجير بنا فنظرنا الى حيث سمعناه فرأينا هدسن احد النوتية وهو من الاخصام طافياً على خشبه يستغيث فانتشلناه وهو على آخر رمق

ولما صحا بعد مدة فهمنا منه ان احد معاوني الضباط كان متربصاً حذاء احد اكياس البارود في ظهر السفينة وفي يده اعواد كبريت لاشعال البارود عندما يسيئون اليه وهكذا كان القضاء النهائي على السفينة.

«وفي اليوم التالي مرت بنا السفينة هوتسبر ماخرة الى اوستراليا فقبلنا قبطانها باعتبار اننا نوتية ناجون من غرق سفينتنا ورست بنا هوتسبر في سدنى. فصعدنا الى هذه المدينة واشتغلنا في المناجم انا وهيفنس بعد ان غيرنا اسمنا كما علمت آرميتاج وبادوس ومن ثم نجحنا

ورجعنا الى الكلترا ونحن من ذوي الثروة الطائلة كما تعلم .

« اما السفينة فذهب ذكرها في خبر كان . واما هدسن الذي أعتاده فتبعنا ليعيش في ظل مخاوفنا . ومن ذلك تفهم السبب الذي لاجله كنت اداريه واحتمل عسفه وغلاظته والآن قد فارقنا الى « بادوس » فريسته الثانية وفي فمه تهديد ووعيد » (انتهى التقرير)

وفي اسفل هذا التقرير كتبت الجملة الآتية بخط لا يكاد يقرأ « بادوس كتب بالاصطلاح المعروف بيننا يقول ان هدسن اخبر كل شيء فيا الهي ارحم نفسي »

هذا هو التقرير الذي وصل الى صديقي فيكتور . واظن ايها العزيز وطسن ان قصة هذا الرجل لاغرب من روايه تمثيلية .

اما بادوس وهدسن فلم يعد يسمع عنهما خبر ولكني سأبذل الجهد لاتوصل الى القاء القبض على هذا الشقي هدسن وتسليمه الى العدالة لينال جزاء ما جنت يداه .

وبعد ستة اشهر تمكن شارلوك هولمز من القبض على هدسن في احد احياء لندن الشرقية حيث كان مختفياً وسلمه الى الحكومة فالقت به في السجن ليقضي بقية ايامه التعسة بين اخوانه المجرمين .

-٠(٠)٠-